مقدمة

الحمد للّه الذى جعل المساجد منارة للهدى، ومكانًا للدُّعَاة العالمين، ينشرون فيه العلم النافع لإصلاح النفوس وتهذيب القلوب. سبحانه تكرم على روادها فأضفى عليهم من رحمته، وكساهم من محبته فقال فى الحديث القدسى: «إن بيوتى فى الأرض المساجد، وعمّارها زُوَّارى، وحق على المزُورِ أن يُكرِمَ زائره». والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذى كان أول عمل له حين دخل المدينة مهاجرًا أنْ شيد المسجد؛ ليكون مقرًا لعبادة اللّه، ومدرسة يعلم فيها الرُّوَّاد الذين سيحملون مشاعل الهدايه؛ ليبددوا بها ظلام الجاهلية فى شتى بقاع الأرض.

أما بعد.. فقد تعددت أجهزة الإعلام فى عصرنا ما بين مسموعة ومرئية ومقروءة، حتى صار لها جمهور يعشقها ويألفها؛ وذلك لما يُبذل فى سبيل تطويرها من جهود مالية وفنية تضمن لها الاستمرار والاطراد، مع دقة التخطيط وجذب الأنظار، ومع هذا نجد أن المسجد مازال يحتل المكانة الأسمى فى نفوس المسلمين، ومنبره يمثل أقوى صوت يُوَجَّه للناس، تتضاءل بجانبه أصوات تلك الأجهزة بإمكاناتها. ولا عجب، فإن أكثر ما نسمعه أو نقرؤه أو نشاهده إنما هو من نتاج العقل البشرى الذى قد يخطئ وقد يصيب، أما رسالة المسجد فهى فى مجموعها رسالة الله لصالح الناس وسعادة البشرية، وشتان ما بين الرسالتين!

إنَّ الذى يدخل المسجد ويعتاد دخوله تزكو نفسه، وتقوى صلته بربه، فيشتهر بين الناس بالسلوك الحسن وَسِيمَا الوقار يتلألأ على جبينه، ونور الإيمان

يظهر على وجهه، ويدخل فيمن عناهم الرسول الكريم بقوله: «إذا رَأَيْتُم الرَّجُلَ يعتادُ المسجدَ فَاشهَدُوا له بالإيمان».

ومما لايختلف فيه اثنان أن المسجد كان ـ ولا يزال ـ جامعة إسلامية كبرى تؤدى رسالتها على مَرِّ العصور وكَرِّ الدهور، ينتسب إليها الصالحون، ويتخرج فيها الأوفياء العاملون، وتقدم للمجتمع العناصر الصالحة التى تعرف واجبها المنوط بها فتؤديه كاملاً؛ رغبة فى رضوان اللّه، وأملاً فى مثوبته... التعاون دأبهم، والإخلاص رائدهم، والصبر على تحمل المشاق فى سبيل الواجب والمروءة دَيْدَنُهُمْ وشيمتهم.

ولنعد معًا بالحديث إلى ما قبل البعثة؛ لنرى بيت اللّه الحرام أول بيت وُضِعَ للناس، يُقيم بناءَه الخليلُ إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام؛ ليكون مثابة للناس وأَمْنًا، نراه يؤدى دوره التاريخى فى إيقاظ الشعور الإيمانى، وبعث الفطرة الكامنة فى الإنسان فى عصر الجاهلية حين طال العهد بالناس، ونَسِيَ الكثير منهم ما بُنى المسجد من أجله، فقلدوا الوثنيين، وعبدوا الأصنام، وأحاطوا الكعبة بالأوثان؛ لتقربهم إلى اللّه زُلْفَى «فى زعمهم»، حتى اسْوَدَّ الفِكرُ، والتاثت العقول، فلم تر الخالق من خلال مخلوقاته، ولم تُبصِر النور مما غشيها من فساد وظلام.

ومع هذا الظلام الدامس والفساد الذى رَانَ على القلوب نرى من خلاله جماعة صَفَتْ نفوسهم، وسَمَتْ أرواحهم، فنظروا إلى الأصنام نظرة استخفاف وسخرية، وتطلعوا إلى الخلاص منها، هؤلاء هم أصحاب العقول المفكرة، والأفئدة المستنيرة، وهُم الذين عُرِفُوا فى التاريخ باسم «الحُنَفاء»، ذلك لأنهم عايشوا المسجد الحرام فى مكة، ورأوا ما فيه قومهم من عبادةِ مالا ينفع ولا يضر، فى حين أن ما حولهم من ظواهر الطبيعة الباهرة ونظام الكون البديع أمر يلفت النظر، ويسترعى الانتباه، ويؤكد أن لهذا الكون خالقًا عظيمًا منفردًا

يجب أن تُوَجّه العبادة له، يؤكد هذا ما نراه فى آثارهم التى خلفوها وراءهم، ورواها لنا التاريخ.

فزيد بن عمرو بن نفيل، ابن عم عمر بن الخطاب ـ وهو واحد منهم ـ أنكر على قومه عبادة الأصنام، وراح يبحث عن دين إبراهيم الذى بنى البيت، فطاف فى بلاد العرب حتى هداه اللّه إليه، وكان يقول: «اللهم لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك، ولكنى لا أعلمه» ثم يسجد على راحلته، ومن أبرز أقواله وهو مستند إلى الكعبة: يا معشر قريش، والذى نفسى بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى!

وقُسٌّ بن ساعِدَة الإيادى خالف عقائد الجاهلية، وأيقن بالبعث والحساب، وكان يعظ الناس ويذكرهم بالموت ومابعده، ويدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد، فيقول: مَنْ عاشَ مَاتَ، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت، إن فى السماء لخبرًا، وإن فى الأرض لعبرًا، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تُرِكُوا فناموا؟ يقسم قس قسمًا لا إِثْمَ فيه، إن للّه دينًا هو أَرْضَى لكم من دينكم الذى أنتم عليه.

والمأمون الحارثى كذلك ضرب بسهم وافر فى النظر فى الكون؛ بحثًا عن الخالق القادر، وهو يقول: أرض موضوعة، وسماء مرفوعة، وشمس تطلع وتغرب، وقمر تطلعه النحور، وتمحقه أدبار الشهور، إن فى ذلك لأوضح الدلائل على البارئ المصوِّر، المدبِّر المقدر.

هؤلاء وغيرهم تربوا فى ربوع مكة، وَشبُّوا بين أحضان المسجد الحرام قبل البعثة، فكان المسجد من أقوى الأسباب فى توجيه هؤلاء وأمثالهم، لأن يسألوا أنفسهم: لماذا بنى هذا المسجد؟!

وإذا كان هذا هو شأن المسجد فى الجاهلية قبل أن يرتبط بتاريخ الإسلام، وقبل أن يصبح المدرسة الأولى فى المجتمع الجديد الذى وضع أسسه محمد بن عبد اللّه على تقوى من اللّه ورضوان خير، فلا غرو بعد ذلك أن يكون

للمسجد فى الإسلام معنىً روحيًا يكشف للنفس المؤمنة سر العبادة ومعنى العبودية للّه رب العالمين، فليس بناءً شامخًا كغيره من البنايات الخالية من معانى الإجلال والتقديس، وإنما هو ـ أى المسجد ـ سفينة نجاة لهذا العالم المضطرب الذى يموج بالانفعالات النفسية، حائرًا متخبطًا، تائهًا فى بيداء الحياة، غارقًا فى أوهامها؛ إذ أن داخله يلقى عن عاتقه كل هذه الأثقال على بابه وينفضها عن نفسه، ويتجه بقلبه لصاحب هذا البيت تائبًا مستسلمًا له، طالبًا منه الصفح والغفران، فيخفت ضوء الدنيا فى قلبه، وتنطفئ نار الشهوات فى نفسه، فيجتمع مع غيره على سلامة صدر، وبراءة قلب، وروحانية نفس، ثم يستوون استواءً واحدًا ويقفون موقفًا واحدًا فى خشوع واحد، ثم يخرُّونَ للأذقان سُجَّدًا للّه، مستشعرين معنى المساواة، فلا غرور ولا استعلاء ولا خُيَلاء، الكل يستجيب لكلمة الحق، ويستمع لصوت الخير، مُتَجاوِبًا مع دعوة الإصلاح والفلاح، وقد خرجوا من دنيا ذواتهم العنصرية إلى الديمقراطية الإسلامية الحقة، فلا يفكر أحد أن ذاته أسمى من ذات أحد، وكيف يكون ذلك وما زال صوت النبى محمد يرن فى آذانهم أنه «لا فَضلَ لعربىً على أعجمىً، ولا لأسْوَدَ على أبْيَضَ إلا بالتقوى والعمل الصالح»؟

وبهذه المكانة السامية للمسجد فى نفوس المسلمين فاق أجهزة الإعلام وتغلب عليها، وأصبح صوته أعلى من أصواتها، وتأثيره فى حياة الناس أقوى، وصار جديرًا بأن يكون مدرسة لتخريج عظماء الرجال، وجامعة ينصهر فيها رُوَّادُهم.

والذى بين يديك جهد متواضع يلقى الضوء على هذا البيت الخالد الذى أدى ويؤدى دوره فى بناء الإنسان المسلم الذى نحن فى حاجة ملحة إليه فى عصرنا الحاضر، وعلى الأئمة الدعاة الذين يحملون مشاعل الهدى لتوصيل رسالتهم السامية إلى أبناء الأمة فى سبيل رفعتها ونهضتها، ومستقبل أمتنا المشرق بالرخاء بإذن اللّه. ان يجعلوا المسجد قبلتهم ولهوى أفئدتهم.

وأرجو من اللّه سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا، وهو وحده أعلم بالقصد.

وعفواً أخي القارئ، إن وجدت خيراً فهو من توفيق الله، وإن صادفك خطأ فهو قصور من العبد الضعيف، فَقَوِّ ضَعْفِي برأيك، والدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ـ كما قال سيد البشر ﷺ ـ ورحم الله امْرأً أهدى إليَّ عيوبي ـ كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[1].

منصور الرفاعي عبيد

(١) سورة إبراهيم الآيتان ٤٠ ، ٤١.

وروى أحمد عن بشير بن حبان قال: «جَاءَ وَاثلةُ بن الأَسْقَع ـ ونَحْنُ نَبْنى مسجدًا ـ فَوقَفَ علينا فَسَلَّمَ، ثُمَّ قال. سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ بَنَى اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَهُ فى الجَنَّةِ أَفْضَلَ مِنْهُ».

المشى إلى المساجد:

المساجد بيوت المتقين، فمن أكثر من التردد عليها فهو مشهود له بالإيمان، وضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط المستقيم. ومن غدا إلى المسجد أو راح إلى المسجد أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح؛ ولذا يُستحب لزوم المساجد والجلوس فيها إذا لم يكن وراء الإنسان عمل، كأن يكون قد انتهى من عمله، وأدَّى واجبَ أهله، وأصبح غيرَ مشغول بشىء، ولا مرتبطًا بواجب منوط به ومكلف أن يقوم بأدائه. يقول أبو الدرداء: ما مِنْ رَجُلٍ يغدو إلى المسجد لخير يفعله، أو علْمٍ يتعلمه، إلاَّ كتب له أجر مجاهد، لا ينقلب إلا غانمًا. ومصداق ذلك قول الرسول ﷺ: «إنَّ الملائكة لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لطالب العلم رضًا بما يصنع»: وفى حديث أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «إنْ للمسَاجد أوْتَادًا، الملائكةُ جلساؤهم، إنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وإنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، وإنْ كانوا فى حَاجَةٍ أعَانُوهَمْ» ثُمَّ قال: لجليس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد، أو كلمة محكمة، أورحمة منتظرة. ويقول أحد العلماء: المسجد حصن حصين من الشيطان الرجيم؛ ذلك لأن الشيطان عندما قال لله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

فعباد الرحمن ليس للشيطان عليهم سبيل. إنما سلطانه على الذين يتولونه، والذين يهربون من المساجد ولا يركعون ركعة لله، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2].

والجليس فى المسجد يذكر الله، ومَنْ ذَكَرَ اللهَ ذَكَرَهُ اللهُ. قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة ص ـ الآيتان: ٨٢ ، ٨٣.

(٢) سورة مريم ـ من الآية ٥٩.

(٣) سورة البقرة ـ من الآية ١٥٢.

وقال أحد الصالحين: والله إنِّى لأَعْلَمُ متى يذكرنى ربى: إذا ذكرتُه ذكَرَنى.

روى ابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى اللّه عنه ـ أن رسول اللّه ﷺ قال: «المشَّاءون إلى المساجد فى الظُّلَمِ أولئك الخوَّاضُونَ فى رحمة اللّه تعالى». وروى الطبرانى عن أبى هريرة ـ رضى اللّه عنه ـ: «إنَّ الله لَيُضِيءُ للَّذِينَ يتخلَّلُونَ إلى المساجد فى الظُّلَمِ بنورٍ ساطِعٍ يوم القيامة». وروى ابن خزيمة عن أبى هريرة ـ رضى اللّه تعالى عنه ـ أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا يتوضَّأ أحدُكم فَيُحْسِن وضوءه فَيُسْبِغه، ثم يأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، إلاَّ تبشَّشَ اللهُ إليه كما يتبشَّشُ أهْلُ الغَائِبِ بِطَلْعَتِه» أى: يفرحون بطلعته، ويتهللون فى وجهه، ويظهر عليهم الفرح وعليه السرور.

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المساجدَ فَاشْهَدُوا له بالإيمان». قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[1].

وفى رواية الطبرانى: «من ألفَ المسجدَ أَلِفَهُ الله» وعن أبى الدرداء فيما رواه الطبرانى، أن رسول الله ﷺ يقول: «المسجدُ بيتُ كُلِّ تَقِىّ» وتكفل اللّه لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان اللّه والجنة. والسعى إلى المساجد والجلوس فيها للطاعة من أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة، وتدعو له الملائكة بالمغفرة والرحمة، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[2].

طهارة المسجد:

أرشدنا الوحى الإلهى والتوجيه الربانى إلى طهارة المسجد ونظافته؛ حتى يكون المسجد على غاية من الكمال والجمال، وليشعر داخله بالراحة النفسية، والاطمئنان فى السجود، والمكث بعد الصلاة. ونستلهم هذا من قول الحق

(١) سورة التوبة ـ من الآية ١٨.

(٢) سورة المطففين ـ من الآية ٢٦.

ـ سبحانه ـ لسيدنا إبراهيم خليل الله، وبانى البيت الحرام: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[1].

وتَرْك المساجد بلا نظافة وإهمالها يكون سببًا فى هجرها وعدم المكث فيها، والهَرَب من أداء الصلاة بداخلها، ومن تسبب فى ذلك يدخل فى مفهوم تلك الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ولقد كان من عادة الناس الطيبين أنهم يهبون أولادهم لخدمة المسجد وصيانته ونظافته؛ لما فى ذلك من الأجر العظيم، والثواب الكثير، ونأخذ هذا من قول الحق ـ سبحانه ـ على لسان امرأة عمران، التى قالت عندما أَحَسَّتْ بالحمل بين أحشائها، وبالجنين يتحرك بين ضلوعها: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

والمحرَّر هو الولد الذكر؛ لأنه هو الذى يصلح لخدمة المسجد التى تحتاج إلى مشقة وجهد، ولا يصلح هذا للنساء فى مسجد الرجال؛ ولذلك لما وضعت المولود وجاءت أنثى اعتذرت إلى ربها، وطلبت منه ـ سبحانه ـ أن يُنْبِتَهَا نباتًا طَيِّبًا، وأن يبارك فيها، ويجعلها من أهل الفلاح والسعادة: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[4].

ولذا رَوَى أحمد عن سَمُرَة بن جُنْدب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: «أمَرَنَا رَسُولُ اللّه ﷺ أن نَتَّخِذ المساجدَ فى دِيَارِنَا، وأمَرَنَا أن نُنَظِّفَهَا». ورَوَى ابن

(١) سورة الحج ـ من الآية ٢٦.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١١٤.
(٣) سورة آل عمران ـ الآية ٣٥.
(٤) سورة آل عمران ـ الآية ٣٦.

ماجه عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ أَخْرَجَ أَذًى مِنَ الْمَسْجِدِ بَنَى اللهُ له بَيْتًا فى الجنة».

وروى الطبرانى عن أبى قرصافة، أنه سمع النبى ﷺ يقول: «ابْنُوا المساجدَ وأَخْرِجُوا القمامَةَ منها، فَمَنْ بَنَى لله مَسْجدًا بَنَى اللهُ له بَيْتًا فى الجنة. فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله، وهذه المساجد التى تُبْنَى فى الطريق؟ قَالَ: نَعَمْ. وإِخْرَاجُ القمامَةِ منها مُهورُ الحورِ العِين.

وروى ابن ماجه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «خِصَالٌ لا ينْبَغِينَ فى المسْجِد: لا يُتّخَذُ طَرِيقًا ـ ولا يُشْهَرُ فيه سلاَحٌ، ولا ينبضُ فيه بقَوْسٍ ولا يُنْثَرُ فيه نَبْلٌ. ولا يمر فيه بِلَحْمٍ نِيءٍ، ولا يُضْرَبُ فيه حَدٌّ، ولا يُقْتَصُّ فيه مِنْ أَحَدٍ، ولا يُتّخَذُ سُوقٌ به».

ولقد أراد رسول اللّه ﷺ أن يُصانَ المسجد من تلك الأمور التى من شأنها أن تغرس الأحقاد فى النفوس، وتكون سببًا فى بُعْدِ الملائكة بسبب الرائحة الكريهة؛ لأن هذا مما ينفر الناس؛ ولذلك يجب صيانة المسجد عن الروائح الكريهة. ولا يجوز البزق فى المسجد؛ لأن ذلك خطيئة؛ لأنه قد يصاب شخص بالتلوث ـ وكذلك البول ـ لأنه جاء فى الحديث أن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القَذَر، إنما هى لذكر الله وقراءة القرآن. ويحرم إدخال النجاسة إلى المسجد، وأما مَنْ على بدنه نجاسة، أو به جرح ويخشى تلوث المسجد من ذلك، فيحرم عليه دخول المسجد، وكذلك التبول والتبرز بجوار الجدار؛ لأن الهواء يدخل للمسجد محملاً برائحة يتأذى منها الرُّوَّاد.

وقد قال الشيخ منصور بن إدريس: «يحرم الجماع فيه، ويُكْرَه فوقه، والتمسح بحائطه، والبول عليه. وقال أحمد: أكره لمن بال أن يمسح ذكره بجدار المسجد، ويحرم بوله فيه ولو فى إناء؛ لأن المسجد لم يُبْنَ لهذا، فوجب صَوْنُه عنه. كما يكره تحريمًا إلقاء القمل ودفنه حيًا بالمسجد، وكذلك البراغيث والبق، وما شاكل ذلك، مما يكون سببًا فى إيذاء الغير، أو تنفير الناس. ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا وَجَدَ أحَدُكم القَمْلَة فى ثَوْبِه فَلْيصُرَّهَا ولا